

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

خاصة callyrides يقدمنها للأم العذراء.

ذكر العذراء في فترة الميلاد لائق جداً، وصار عادة في جميع الكنائس حتى قبل إدخال الأعياد الأخرى المريمية إلى الرونظمة الكنسية. تفرد الليتورجيا جزءاً كبيراً من صلواتها في موسم الميلاد لمديح العذراء مريم مشددة على عذريتها قبل ولادة الرب يسوع وفيها وبعدها. طبعاً هذا الفكر الكنسي الذي هو «فكر

المسيح» (١ كو ١٦:٢) مُستقى من تعليم الإنجيل الذي يتحدث عن ولادة يسوع من العذراء مريم: «هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه

عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا» (متى ١:٢٣).

يورد الإنجيلي لوقا جواب مريم إلى الملاك جبرائيل بعدما بشرها بالحبل بيسوع وبالولادة: «فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً. فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحلُّ عليك وقوة العلي تظلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لو ١: ٣٤-٣٥). ولادة يسوع من عذراء، بالنسبة لإيماننا، هو أمر طبيعي، ولا يمكن إلا أن يكون هكذا. يسوع هو ابن الله الأب

العذراء مريم

«بما أنك كنز قيامتنا أيتها الكلية التسبيح، فانتشلي الوثائقين بك من عمق جبّ الزلات لأنك خلصت الساقطين تحت طائلة الخطيئة لما ولدت الخلاص، يا مَنْ هي قبل الولادة عذراء، وفي الولادة عذراء، وبعد الولادة أيضاً عذراء» (والدية القيامة للحن السابع).

تقيم الكنيسة المقدسة في اليوم الذي يلي عيد ميلاد الرب يسوع بالجسد تذكاراً سنوياً جامعاً لوالدة الإله، فترفع الصلوات في هذا اليوم للعذراء مريم التي كان لها دور أساسي في

العدد ٥٢/٢٠٠٤
الأحد ٢٦ كانون الأول
الأحد بعد الميلاد
عيد جامع لوالدة الإله
الفائقة القداسة وتذكار القديس
الشهيد في الكهنة أفثيموس
أسقف مدينة سرديس (سرت)
الحن الخامس
إنجيل السحر الثامن

خلاص البشر إذ تجسد الرب الإله وولد منها. يعود هذا العيد إلى القرن الرابع الميلادي ويُعتبر من أول الأعياد المختصة بوالدة الإله التي برزت في الليتورجيا الكنسية، إذ لم يكن هناك ليتورجيا خاصة بالعذراء في القرون الثلاثة الأولى رغم أن تكريمها كان حاضراً منذ نشأة الكنيسة.

نشأ هذا العيد في «العربية»، أي البلاد الواقعة جنوب سورية والأردن، حيث كانت النسوة التقيّات يُقمن احتفالاً سنوياً ويعملن كعكة

الرسالة

(غلاطية ١: ١١-١٩)

يا إخوة أعلمكم أنّ الإنجيل الذي بشرت به ليس بحسب الإنسان* لأنني لم أتسلمه أو أتعلّمه من إنسان بل بإعلان يسوع المسيح* فإنكم قد سمعتم بسيرتي قديماً في ملّة اليهود أنني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراطٍ وأدّمّها* وأزيد تقدماً في ملّة اليهود على كثيرين من أترابي في جنسي بكوني أوفر منهم غيراً على تقليدات آبائي* فلما ارتضى الله الذي أفرزني من جوف أمي ودعاني بنعمته* أن يعلن ابنه فيّ لأبشّر به بين الأمم لساعتي لم أصغ إلى لحم ودم* ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي بل انطلقت إلى ديار العرب وبعد ذلك رجعت إلى دمشق* ثمّ إنني بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأزور بطرس فأقمت عنده خمسة عشر يوماً* ولم أر

غيره من الرسل سوى يعقوب أخي الرب.

الإنجيل

(متى ٢: ١٣-٢٣)

لَمَّا انصرفَ المَجُوسُ إِذَا بِمَلَاكِ الرَّبِّ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي الحُلْمِ قَائِلًا قُمْ فَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرَبْ إِلَى مِصْرَ وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ * فَإِنَّ هِيرُودُسَ مَزْمَعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ * فِقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلًا وَانصَرَفَ إِلَى مِصْرَ * وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ لِيَتِمَّ المَقُولُ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ القَائِلِ: «مَنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي» * حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى هِيرُودُسُ أَنَّ المَجُوسَ سَخَرُوا بِهِ غَضِبَ جِدًّا وَأرْسَلَ ففَقَتَلَ كُلَّ صَبِيانَ بَيْتِ لَحْمٍ وَجَمِيعَ تَخُومِهَا مِنْ ابْنِ سَنَتَيْنِ فما دونَ عَلى حَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ المَجُوسِ * حِينَئِذٍ تَمَّ ما قاله إِرمِياؤُ النَّبِيِّ القَائِلِ: «صَوْتُ سَمْعَ فِي الرَّامَةِ نُوحٌ وَبِكَاءٌ وَعَويلٌ كَثِيرٌ. راحيلُ تَبْكِي عَلى أَوْلادِها وَقَدِ أَبَتْ أَنْ تَتَعَزَّى لَأَنَّهم لَيسُوا بِمَوجودينَ» * فَلَمَّا ماتَ هِيرُودُسُ إِذَا بِمَلَاكِ الرَّبِّ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي الحُلْمِ فِي مِصْرَ قَائِلًا: قُمْ فَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ

الأزلي. الله أبوه الأزلي ولا أب بشري، له، لذا لا بد أن يولد من عذراء خارج ناموس الطبيعة. «لقد تم اليوم عجب عظيم ومستغرب، ذلك أن بتولا تلد، والمستودع لم يدخل عليه فساد. الكلمة يتجسد، ومن الأب لم ينفصل. الملائكة مع الرعاة يمجدون، ونحن معهم نهتف صارخين: المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام» (من غروب عيد الميلاد). عبارة «لم يدخل عليه فساد» تعني أنها بقيت عذراء. على كل حال، كيف يفسد الإله «أغلاق البتولية» (كما نرتل في قانون الفصح، الأودية السادسة) وهو الذي أتى ليجدد الخليقة؟ «افرحي أيتها الطاهرة، يا خزانة السرور الذي لا يفسر. فيها إنك تأتين الآن لتلدي السيد في المغارة مريداً أن يجدد حقيقة الخليقة التي فسدت بالمعصية قديماً. فإذا نسبحه بإيمان، أياك نعظم» (صلاة نوم عيد الميلاد).

إذا كانت العذراء مريم هي ممثلة الخليقة كلها عندما قالت للملاك «هوذا أنا أمة الرب» أي قالت له «نعم»، فإن بتوليتها هي صورة التجدد الذي سوف تصير عليه الخليقة بالمولود من العذراء، ابن الله المتجسد، عبر العمل الخلاصي الذي سيصنعه ابن الله من أجلنا.

إنجيل يعقوب المنحول هو أول كتاب يتحدث عن بتولية مريم بعد ولادتها يسوع، والكنيسة عاشت هذا التقليد منذ نشأتها، كما يورد المجمع المسكوني الخامس (٥٥٣) عبارة الدائمة البتولية: ليكن ميسلاً كل من لا يعترف أن كلمة الله ولد ولادتين: الولادة الأولى منذ الأزل من الأب ولا تحصر في زمان أو في جسد، والثانية في الأيام الأخيرة إذ نزل من السماء وصار جسداً من القديسة المجيدة مريم والدة الإله الدائمة

البتولية وولد منها» (مادة رقم ٢)، «كل من لا يدعو بتولية صادقة القديسة المجيدة الدائمة البتولية مريم، والدة الإله ... ليكن ميسلاً» (مادة ٦).

بعضهم يدعي أن ليسوع إخوة، وبالتالي لم تبق مريم عذراء، ويستندون في ذلك على الآية «ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر» (متى ١: ٢٥)، وعلى الآية «أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا» (متى ١٣: ٥٥). بالنسبة للآية الأولى عبارة «يعرفها» ترد في الأصل اليوناني للإنجيل في صيغة الماضي البسيط. وهذه الصيغة تستعمل للإشارة إلى شيء حصل في الماضي ولا يعرف ماذا حصل بعده. أي أن يوسف حتى ولادة يسوع لم يعرف مريم. أما ماذا حصل بعدها فالصيغة المستعملة لا تفيدنا بشيء، لا سلباً ولا إيجاباً. بالنسبة لكلمة بكر فهي تعني حرفياً المولود الأول ولا تفترض وجود إخوة. أما بالنسبة إلى الأسماء الواردة في الآية الثانية، فإن الكنيسة أطلقت صفة «أخو الرب» على يعقوب. والمعروف أن يعقوب صار أول أسقف على مدينة أورشليم. ولما استشهد عام ٦٢ كان عمره أكثر من تسعين عاماً، أي أنه أكبر من يسوع بثلاثين سنة. فكيف يكون يسوع البكر ويعقوب أكبر منه؟ كما أن مرقس ومتى الإنجيليان يذكران لنا أن والدة يوسي «أخوه» هي مريم. إذا كانت مريم هي نفسها أم يسوع فلماذا لا يسميها مريم أم يسوع ويوسي ويعقوب. وإذا كان يوسي ويعقوب هما من إخوة يسوع بالجسد فلماذا يسلّم الرب والدته ليوحنا وهو على الصليب؟ إنجيل يعقوب المنحول يدعي أن هؤلاء المذكورين هم أولاد ليوسف من زواج سابق، وهذه تبقى قصة غير مؤكدة. أما في الغرب فقد

واذهب إلى أرض إسرائيل فقد مات طالبو نفس الصبي* فقام وأخذ الصبي وأمه وجاء إلى أرض إسرائيل* ولمّا سمع أنّ أرشيلوس قد ملك على اليهودية مكان هيرودس أبيه خاف أن يذهب إلى هناك وأوحى إليه في الحلم فانصرف إلى نواحي الجليل* وأتى وسكن في مدينة تدعى ناصرة ليتمّ المقول بالأنبياء إنه يدعى ناصرياً.

تأمل

«فيا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أصعب إدراك أحكامه وفهم طرقه». يا لعظم صلاح الله! يا حباً يفوق الوصف! «الذي يدعو غير الموجود إلى الوجود»، الذي هو «مالي السموات والأرض»، الذي «السماء عرشه والأرض موطن قدميه»، يتخذ لذاته مسكناً رحباً من حشا خادمته الخاصة وينجز فيها سرّ الكلّ الأكثر جدّة. فكونه إلهاً صار إنساناً، ولما بلغ زمان ولادته وُلد بحال تفوق الطبيعة؛ فقد فتح الحشا الأمومي دون أن يفرض ختم بكارتها. وعلى أيدٍ بشرية حمل كطفل صغير، هو «بهاء مجد الأب وصورة جوهره»، والذي يحفظ الكون برمته

علم القديس يرونيموس أن هؤلاء هم «أبناء عم» يسوع.

مهما يكن من أمر، فإن قديسي الكنيسة لم يستطيعوا ولو حتى التفكير بأن التي ولدت بالروح القدس ابن الله وكلمته وحكمته وشعاع مجده، ممكن أن تنجب أولاداً آخرين بحسب ناموس الطبيعة. هذا ليس تقليداً من أهمية عملية الولادة وقدسيتها، أو تبخيس من قيمة ناموس الطبيعة، لقاء الرجل والمرأة. بل هو وعي واضح لفراة مريم العذراء «المباركة بين النساء» والتي «تطويها كل الأجيال»، المعطاة للكنيسة كصورة حيّة لكل المؤثرين أن يخلصوا لأنهم «يسمعون كلام الله ويحفظونه» (لو ١١: ٢٨). إن مكان مريم في مخطط الله الخلاصي يؤكد على بتوليها الدائمة أكثر من أي نص كتابي بالنسبة للذين يسعون لمعرفة في حياة الكنيسة السرية: «ها إن العذراء قد حبلت في الحشا كما قال النبي قديماً، فولدت إلهاً متأنساً، ولبتت بتولاً. فإذا إننا نحن الخطأة قد تصالحنا بواسطتها مع الله، فلنسبّحها بإيمان بما أنها والدة الإله بالحقيقة» (من سحر العيد).

يسوع والتجربة

منذ بدء الخليقة يحاول الشيطان أن يجرب البشر ويقودهم إلى الهلاك فيصبحون عبيده بخطيتهم. اعتبر نفسه سيد هذا العالم وإلهه. لكن المسيح نزع عنه سلطانه بمجيئه على الأرض: «رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء» (لو ١٠: ١٨)، وبموته على الصليب ... «الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً» (يو ٣١: ١٢).

يظهر هذا النصر بصورة واضحة في إخراج الشياطين من الممسوسين.

لهذا يوجّه الشيطان هجماته على شخص يسوع (تجربة يسوع). في البرية ينتصر يسوع على المجرب في عقر داره. بعد معموديته «أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليُجرب من إبليس. فبعدهما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً» (متى ٤: ١-٢). يعني أن الروح القدس أصعد يسوع إلى البرية ليجذب الشيطان ليس فقط بجوعه إنما بالمكان أيضاً. لأن الشيطان يكون مسروراً عندما يرى البشر متروكين لوحدهم دون أي معين، كما عندما أغار الشيطان على حواء إذ أدركها لوحدها منفردة عن زوجها آدم. الشيطان لا يتجاسر ولا يهاجم أحداً إذا كان متفقاً مع الآخرين. نلاحظ أيضاً أن سلاح الإنسان المؤمن ضد الشيطان ومكائده هو الصوم. لذلك قال الرب يسوع: «وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم» (متى ١٧: ٢١).

ثم «تقدّم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً. فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ... ثم قال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل ... قال له يسوع مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك. ثم قال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي. حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان. لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (متى ٤: ٣-١٠).

يبدأ الشيطان بتجربة يسوع من خلال حاجة البطن بنفس الوسيلة التي بها طرد آدم من الفردوس أي بشهوة البطن. لكن ماذا يعلمنا السيد من خلال هذه التجارب؟ يعلمنا أن نلجأ دائماً إلى الله وأن لا نثق بالشيطان أبداً حتى ولو كان ما يأمر به يبدو لأول وهلة مناسباً لنا. الله

بكلمة فمه.

فيا للعظام الإلهية حقاً والأسرار التي تفوق الطبيعة والعقل! يا لامتيازات البتولية، التي تفوق الإنسان! ما هذا السر العظيم الذي يكتنّفك أيتها الأم القديسة والبتول؟ «فأنت مباركة في النساء ومبارك ثمر بطنك». أنت مغبّطة من أجيال الأجيال، ووحده أهل لأن تدعى مغبّوة؛ فهذا إن كل الأجيال تغبّطك في الواقع كما سبق فأعلنت. وبنات أورشليم، أي الكنيسة، رأيك فهناًك؛ والملكات اللواتي هنّ نفوس الصديقيين سيبارككنك إلى الدهور. لأنك العرش الملكي الذي يقف الملائكة بجانبه متأمّلين سيدهم وخالقهم الجالس عليه. فقد أصبحت عدنا الروحية الأقدس والأكثر تألّها من (عدن) القديمة. في الأولى سكن آدم «الأرضي»، وفيك إنما هو الرب الذي من «السماء». والتابوت سبق فسورك، يا من خلصت زرع الخليقة الثانية؛ لأنك ولدت المسيح خلاص العالم، والذي غرق الخطيئة وسكن أمواجها.

وكانت العليقة من قبل رسماً لك، والألواح المكتوبة من الله صورتك، وتابوت العهد تحدت عنك. جرة الذهب، والشمعدان، والمائدة، و«عصا هارون التي أورقت» قد سبقت فأظهرتك.

القديس يوحنا الدمشقي

قادر على إطعامنا ولو بكلمة واحدة. لذلك على الإنسان أن لا يتخلى عن الله ولو كان جائعاً. يعلمنا أيضاً بأن لا نجرب الرب إلهنا في الأمور الصالحة أياً كانت بل أن نكتفي بالمجد الذي من فوق، غير مهتمين بما هو من الناس، وأن نزردي بما يفوق احتياجنا. فلا شيء يجعلنا ننطرح تحت قوة الشيطان مثل الرغبة والانجذاب للشهوة «ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته» (يعقوب ١: ١٤).

الإنسان المؤمن مدعو اليوم أن يكون مثل أيوب الذي نصب الشيطان فخاخه ضده من كل جهة حتى بواسطة الفقر متوقفاً أن ينال منه. لكن الشيطان أصبح في حيرة لأنه كلما جلب على أيوب المزيد من النوائب أصبح أيوب ذا قوة أوفر. لم يسلبه محبته لله بل جعلها أقوى.

أخيراً نرى يسوع وقبل إتمام رسالته يتعرض للتجربة الأخيرة وهي نزاعه في بستان الزيتون. قال يسوع لتلاميذه «صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة» (لو ٢٢: ٤٠)، وعلمنا في الصلاة الربية أن نقول: «لا تدخلنا في تجربة». رب سائل: ما هي التجربة التي يطلب المؤمن من الله ألا يدخله فيها؟ ومن هو المجرب؟ يجيبه الرسول يعقوب: «لا يقل أحد إذا جرب إنني أجرب من قبل الله. لأن الله غير مجرب بالشروع وهو لا يجرب أحداً» (يعقوب ١: ١٣). الله قدوس، لا يمكن أن يعمل عمل الشيطان. الله يسمح بالتجربة فيمتحن إيمان الإنسان ويتنقى كما ينقى الذهب والفضة «... محصتنا كمحص الفضة» (مز ٦٦: ١٠). إذا المجرب، هو دائماً الشيطان. الإنسان يجب أن لا ينحرف لمغريات الشرير، بل يطلب إلى الله أن ينجيه من الانخداع لشهواته ورغباته. لذلك

الإنسان مدعو إلى خنق الشهوة التي في داخله لأن «الشهوة إذا حبلت تلد خطيئة والخطيئة إذا كملت تنتج موتاً» (يعقوب ١: ١٥). وهو مدعو أيضاً إلى الانضمام إلى يسوع الغالب بموته، وقيامته ليخوض حرباً طاحنة ضد الخضم الأكبر الشيطان الذي يسعى إلى استعباد البشر. وهذا يفترض من الإنسان إيماناً عميقاً واتكالا كاملاً على الله الذي بدونه لا نستطيع شيئاً. فالله هو الذي يحمي شعبه من إغراء الخطيئة ويدافع معهم - عنهم ليثبت، في الأرض، مخطط حبه. لذلك يقول الرسول بطرس في رسالته الأولى: «اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتصقاً من يبتلعهُ هو. فقاوموه راسخين في الإيمان عالمين أن نفس هذه الآلام تجري على إخوانكم الذين في العالم. وإله كل نعمة الذي دعانا إلى مجده الأبدى في المسيح يسوع بعدما تألمتم يسيراً هو يكملكم ويثبتكم ويقويكم ويمكنكم» (١٠-٨: ١٠).

ذكرى ختانة الرب

بمناسبة ذكرى ختانة الرب يسوع وعيد القديس باسيليوس الكبير ورأس السنة يتراس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح السبت الأول من كانون الثاني ٢٠٠٥ في كنيسة نياح السيدة في رأس بيروت. ويستقبل سيادته المهنيين يومي السبت والأحد ١ و٢ كانون الثاني ٢٠٠٥ بين الرابعة والسابعة مساءً.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت: www.quartos.org.lb